البـــاب الثالث

من وصايا حكماء الجاهلية والاسلام

وصية أكثم بن صيفى الى طيىء

روى أبو الفضل الميدانى فى مجمع الأمثال أن أكثم بن صيفى كتب إلى طيىء بوصية ، هى :

« أوصيكم بِتَقْوَىٰ الله وصِلَة الرحم . وإياكم ونِكَاح الحمقاء فإن نكاحها غرر (١) ، وولدها ضياع . وعليكم بالخيل فأكرموها . فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رِقاب الإبل فى غير حقها ، فإن فيها ثمن الكريمة (٢) ، ورقوءَ (٣) الدم ، وبألبانها يتحف الكبير ، ويغذىٰ الصغير ، ولو أن الإبل كلِّفت الطحن لَطَحَنت ، ولن يهلك امرؤٌ عرف قدره ، والعُدْمُ عُدْم العقل لا عدم المال . ولرجلٌ خير من ألف رجل . ومن عتب على الدهر طالت معتبته ، ومن رضى بالقَسْم (٤) طابت معيشته ، وآفة الرأى الهوىٰ . والعادة أملك (٥) ، والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى ، والدنيا دول : فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك ، والحسد داءٌ ليس له دواءٌ والشماتة تُعْقِب ، ومَنْ يَر يَوماً يُرَ به ، قبل الرِّماءَ تُمْلأُ الكَنَائن . الندامة مع السفاهة . دعامة العقل الحلم . خير الأُمور مغبَّةً الصبر . بقاءُ المودة

---

(١) مخاطرة .
(٢) يريد مهرها .
(٣) رقأ الدم : جف وسكن ، والمعنى أنها تعطى فى الديات فتحقن الدم .
(٤) القدر .
(٥) فى رواية (أملك من الأدب) .

عدل التعاهد (١) ، من يَزُر غِبًّا يُزْدَد حُبًّا ، التغرير مفتاح البؤس ، من التوانى والعجز نُتِجَتِ الهلكة (٢) ، لكل شىء ضراوة (٣) ، فَضَرٌّ لسانك بالخير ، عِىٌّ الصمت أحسن من عىّ المنطق ، الحزم حفظ ما كُلِّفت وترك ما كفيت ، كثير التنصح يهجم على كثير الظِّنَّة .

مَنْ أَلْحَفَ فى المسألة ثَقُل ، من سأل فوق قدره استحق الحرمان ، الرفق يُمن ، والخرق شؤم ، خير السخاء ما وافق الحاجة ، خير العفو ما كان بعد القدرة .

***

وصية ذى الاصبع العدوانى لابنه (٤)

قال أبو عمرو : ولما احتضر ذو الإصبع دعى ابنه أسيداً فقال له :

« يابُنَىَّ ، إن أباك قد فنى وهو حى ، وعاش حتى سئم العيش ، وإنى موصيك بما إن حفظته بلغت فى قومك ما بلغتُهُ فاحفظ عنى : أَلِن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشىء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودَّتك صغيرهم ، واسمح بمالك ، واحم حريمك ، واعزز جارك ، وأَعن من استعان بك ، واكرم ضيفك ، واسرع إلى النهضة فى الصريخ فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد ، فبذلك يتم سؤددك ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) فى استقامة التعاهد والحرص على سلامة الشروط .

(٢) ويروى (نتجت الفاقة) . (٣) تعود .

(٤) كتاب الأغانى : الجزء الثالث .

أأُسَيْد إن مـالاً ملكـ ـت فسر بـه سيراً جميلا
آخِي الكـرام ان استطعـ ـتَ إلى إخـوانهم سبيـلا
واشرب بكـأسهم وإن شربـوا بـه السم الثميـلا
أهـن اللئـام ولا تكن لإخـوانهم جمـلا ذلولا
إن الـكـرام إذا تؤا خيهم وجـدت لهـم قبولا
ودع الذى يعـد العشيـ ـرة أن يسيل ولـن يسيلا
أبُـنَّ إن المـال لا يبكـى إذا فقـد البخيلا
أأسيد إن أزمعت مـن بلـد إلى بلـد رحيـلا
فاحفظ وإن شحط المـزا ر أخـا أخِيـكَ أو الزَّميلا
واركب بنفسك إن هممت بهـا الحـزونـة والسهولا
وصل الكرام وكن لِمن تـرجـو مودتـه وصولا
ودع التـوانى فى الأُمـو ر وكن لها سلساً ذلـولا
وابسط يمينك بالنـدى وامـدد لهـا بـاعاً طويلا
وابسط يديك بما ملكـ ـت وشيِّـد الحسب الأثيلا
واعـزم إذا حـاولت أمـ ـراً يفرج الهـم الـدخيلا
ابذل لضيفك ذات رحـ ـلك مكـرماً حتى يـزولا
واحلل على الايفـاع للعا فيـن واجتنب المسيـلا
وإذا القـروم تخـاطرت يـوماً وأرعـدت الحضيلا
فاهصر كهصر الليث خَضَّ ب من فـريسته الثليـلا
وانـزل إلى الهيجـا إذا أبطـالها كـرهـوا النزولا
وإذا دعيت إلى المهم فكـ ـن لفـادحه حمولا

***

وصية أمانة بنت الحارث لابنتها (١)

كان ملك من ماوك اليمن يقال له الحارث بن عمرو الكندى ، بلغه عن ابنة لعوف الكندى جمال و كمال ، وهو الذى يقال له : لا أحد يشبه عوفاً جمالا و كمالا ، فبعث إلى امرأة من قومها ، يقال لها عصام ، فقال : إنه بلغنى عن بنت عوف جمال و كمال ، فاذهبى ، فاعلمى لى علمها .

فانطلقت حتى إذا دخلت على أمها ، وهى أمانة بنت الحارث ، فأخبرتها خبر ما جاءت له ، وإذا أمها كأنها خاذل (٢) من الظباء ، وحولها بنات لها كأنهن شوادن (٣) الغزلان فأرسلت إلى ابنتها ، فقالت : يابنية ، إن هذه خالتك أتتك لتنظر إلى بعض شأنك فاخرجى اليها ، ولاتستترى عنها بشيء ، وناطقيها فيما استنطقتك فيه . فدخلت عليها ، ثم خرجت من عندها وهى تقول :

« تَرَكَ الخداعَ من كَشَفَ القِنَاع » . فأرسلتها مثلا .

فلما جاءت إلى الحارث قال : ماوراءك ياعصام ؟

قالت : أيها الملك ، « صرَّح المخض عن الزبد » . فأرسلتها مثلا .

ثم قالت : أقول حقاً ، وأخبرك صدقاً ؛ ثم وصفتها وصفاً دقيقاً مفصلا كأجمل الفتيات حسناً .

فبعث الحارث إلى أبيها يخطبها فزوجها إياه .

فلما حان أن تحمل إلى بيت زوجها أوصتها أمها فقالت :

« أى بُنَيَّة ، إن الوصيةَ لو تُرِكَتْ لعقل وأدب ، أو مكرمة فى حَسَب لتركتُ ذلك منك ، ولَزَوَيتهُ عنك . ولكن الوَصِيَّة تذكِرَة للعاقل ، ومَنْبَهَة لِلغَافِل .

---

(١) « المعمرون والوصايا »

(٢) الخاذل : الظبية أقامت على ولدها .

(٣) المستغنية عن أمهاتها .

أى بنية ؛ إنه لو استغنت المرأة بغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها لكنت أغنى الناس عن الزوج . ولكن للرجال خُلِقَ النِّساءُ ، كما لَهُنَّ خُلِقَ الرِّجال .

أى بُنَيَّة . إنك قد فارقت الحِوَاء الذى منه خرجتِ . والوكر الذى منه درجتِ . إلى وكر لم تعرفيه . وقَرِين لم تألَفِيه . فأصبح بملكه عليك ملكاً . فكونى له أَمَةً يكن لك عبداً ، واحفظى عنى خلالا عشراً تكن لك ذَرَكاً وذِكراً ،فأما الأُولى والثانية : فالمعاشرة له بالقناعة . وحسن السمع له والطاعة ، فإن فى القناعة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رأفة الرَّب .

وأما الثالثة والرَّابعة : فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا طيب الريح . واعلمى، أى بنية ، أن الماء أطيب الطيب المفقود ، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود .

وأما الخامسة والسادسة : فالتَّعهد لوقت طعامه والهُدُوّ عند منامه ، فإن حرارة الجوع مَلْهَبَة ، وتَنغِيص النَّومة مَغْضَبَة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله، والرعاية على حشمه (١) وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير ، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشى له سراً ، ولا تعصى له أمراً ، فإنك إن أفشيت سِرَّه لم تأمنى غَدْره، وإن عصيتِ أمره أوْغَرْتِ صدره .

---

(١) ذوى القربى .

واتَّقِى الفرح لديه إن كان ترِحاً (١) ، والاكتئاب عنده إذا كان فَرِحاً ، فإن الأُولى من التقصير ، والثانية من التكدير .

واعلمى أنك لن تَصِلى إلى ذلك منه حتى تُؤثرى هواه على هواك ، ورضاه على رضاك ؛ فيما أحببت وكرهت .

والله يخير لك ، ويصنع لك برحمته » .

فلما حملت إليه غلبت على أمره ، وحظيت عنده .

***

كتاب أكثم الى النعمان بن خميصة

روى أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال قال :

كتب النعمان بن خميصة البارقى إلى أكثم بن صيفى « مثل لنا مثالا نأخذ به » فقال :

« قد حلبتُ الدهر أشطره فَعَرَفْتُ حُلوه ومُـرَّه »

عين عرفتْ فذرفَتْ (٢) . إن أمامى ما لا أُسامى (٣) . رُبَّ سامع بِخَبَرِى لم يسمع بعذرى . كُلُّ زمان لمَنْ فِيه . فى كل يوم ما يُكْرَه . كل ذى نُصْرَة سَيخذَل . تَبَارُّوا فإن البِرَّ يَنْمِى عليه العدد . كفُّوا ألسنتكم ، فإن مقتل الرجل بين فكَّيه . إن قول الحق لم يَدَعْ لى صديقاً ، الصدق منجاة .

---

(١) الترح ضد الفرح .

(٢) عرفت حقيقة الأمور .

(٣) أبارى .

لاينفع مع الجزع التبقى ، ولاينفع مما هو واقعٌ التَّوَقِّى . سَتُسَاقَ إلى ما أنت لاق . فى طلب المعالى يكون العَنَاءُ (١) . الاقتصاد فى السعى أبقى للجمام (٢). من لم يأس على مافاته وَدُعَ بدنه . ومن قَنِع بما هو فيه قرَّت عينه. التَّقدم قبل التَّنَدُّم (٣) . أصبح عِنْدَ رأس الأمر . أَحَبُّ إلى من أن أصبح عند ذَنَبه . لم يهلك من مالك ما وَعَظَك . وَيْلٌ لِعَالِم أَمْرٍ مِنْ جَاهله ، يتشابه الأمر إذا أقبل ، فإذا أدبر عرفه الكَيِّس والأحمق .

الوحشة ذهاب الأعلام (٤) . البطر عند الرخاء حُمق ، والعجز عند البلاء أَفَن (٥) . لاتغضبوا من اليسير فربما جَنى الكثير . لاتجيبوا فيما لم تُسْأَلُوا عنه ، ولاتضحكوا مما لايُضْحَك منه . حيلة مَنْ لا حيلة له الصبر . كونوا جميعاً ، فإن الجمع غالب . تثبَّتُوا و لا تُسَارِعوا فإن أحزم الفريقين الرَّكِين (٦) .

رُبَّ عَجَلَة تَهَبُ رَيْثاً (٧) . ادَّرِعوا الليل (٨) واتخذوه جَمَلا ، فإن الليل أخفى للويل ؛ ولا جماعة لمن اختلف . تناءَوا فى الديار ولاتَبَاغَضوا ، فإنه من يجتمع يتقعقع (٩) عَمَدُه .

---

(١) فى جمهرة الأمثال « يكون العز » .
(٢) الراحة والقوة .
(٣) فكر فى التقدم قبل أن تندم على العمل .
(٤) سادة القوم والمتفوقون فى فنونهم .
(٥) ضعف الرأى والعقل .
(٦) الرزين .
(٧) الإبطاء . .
(٨) ادرعوه : أى اتخذوه سترا ووقاية .
(٩) يضطرب ويتحرك ، والمقصود أن من طبيعة الحياة الافتراق بعد اللقاء ، وأن من هنا كل كثرة إلى زوال .

أَلْزِمُوا النساءَ المهابة (١) . نعم لَهْو الغُرَّة (٢) المِغْزَل . إن تَعِش تَرَ ما لَمْ تَرَه . قد أَقرَّ صامِت (٣) . المِكْثار كحاطب (٤) ليل ، من أكثر أسقط (٥) .

لاتجعلوا سِراً إلى أَمَة . لاتُفَرِّقوا فى القَبَائل فإن الغريب بكل مكان مظلوم . عاقدوا الثَّروة (٦) ، وإياكم والوشائظ (٧) ، فإن مع القِلَّة الذِّلَّة . لو سئلت العارية قالت : أَبْغِى لأَهلى ذلا . الرَّسول مُبَلِّغ غير مَلوم . من فسدت بطانته غُصَّ بالماء . أساءَ سَمْعاً فأَساءَ جابَةً (٨) .

الدال على الخير كفاعله . إن المسألة من أضعف المسكنة . قد تجوع الحرة ولا تأْكل بثديها . لم يجر سالك القصد ، ولم يَعْمَ قاصد الحق . مَنْ شَدَّد نَفَّر ومن تراخى تألَّف . الشرف التغافل . أَوفى القول أوجزه . أصوب الأُمور ترك الفضول . التغرير مفتاح البؤس . التوانى والعجز ينتجان الهلكة . لكل شىءٍ ضراوة . أحوج الناس إلى الغنى مَنْ لايصْلِحه إلاالغِنَى ؛ وهم الملوك . حبُّ المدح رأس الضَّياع .

رضا الناس غاية لاتُبْلَغ . لاتكره سخط من رِضَاه الجَوْر .

معالجة العفاف مشقَّة فتعوَّذ بالصبر . اقْصُر لسانك على الخير وأَخِّر الغضب ، فإن القدرة من ورائك . من قدر أزمع . أمرُّ أعمال المقتدرين

---

(١) اغرسوا مهابتكم وتوقيركم فى قلوبهم . (٢) المرأة الشريفة .
(٣) السكوت رضاء واعتراف .
(٤) الحاطب : جامع الحطب ، وحاطب الليل : الرجل يخلط فى كلامه .
(٥) أخطأ . (٦) حالفوا كثرة العدد من الناس .
(٧) جمع وشيظة : أى لاقيمة لهم فهم حشو فى قومهم .
(٨) الإجابة .

الانتقام . جَازِ بالحَسَنَة ولا تكافئ بالسيئة . أَغنى الناس عن الحقد من عَظُمَ عن المجازاة . مَنْ حَسَد مَنْ دونه قَلَّ عذره . من جعل لحسن الظن نصيباً رَوَّح عن قلبه . عِيُّ الصمت أحمد من عِيّ المنطق . الناس رجلان : مُحْتَرِسٌ ومُحْتَرَس منه . كثير النصح يهجم على كثير الظِّنَّة . من أَلح فى المسألة أَبرم (١) . خير السخاءِ ما وافق الحاجة . الصمت يُكسب المحبة ، لن يغلب الكذب شيئاً إلا غَلب عليه الصدق . القلب قد يُتَّهَم وإن صدق اللسان . الانقباض عن الناس مَكْسَبة للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوءِ ، فكن من الناس بين القربَ والبعد ، فإن خير الأُمور أَوساطها .

فُسُولَة (٢) الوزراءِ أَضرُّ من بغض الأَعداءِ . خير القرباءِ المرأَة الصالحة ، وعند الخوف حُسن العمل . من لم يكن له من نفسه زاجر لم يكن له من غيره واعظ ، وتمكَّن منه عدوه على أَسوأَ عمله . لن يهلك امرؤٌ حتى يَمَلَّ (٣) الناس عتيد فعله ، ويشتدَّ على قومه ، ويُعْجَبَ بما ظهر من مروءَته ، ويغترَّ بقوته ، والأمر يأَتيه من فوقه . ليس للمختال فى حسن الثناءِ نصيب . لانماءَ مع العدم ، إنه من أَتى المكروه إلى أَحد بدأَ بنفسه . العِيُّ أَن تتكلم فوق ماتسد به حاجتك .

لاينبغى لعاقل أَن يثق بإِخاءِ من تضطره إلى إِخائه حاجة . أَقل الناس راحة الحقود . من تَعَمَّد الذنب لاتحِلُّ رحمته دون عقوبة ، فإِن الأَدب رِفقٌ والرِّفق يُمْن .

***

---

(١) أضجر وأمل .

(٢) فسل ككرم وعلم فسولة فهو فسل كضخم : أى رذل لا مروءة له .

(٣) فى رواية أخرى (حتى يملك) .